

رسائل بيبير دوكونديه عن العدوان الصليبي على تونس

(سنة ٦٨٨-٦٦٩هـ / ١٢٧٠م)

دراسة تحليلية نقدية مقارنة للمصادر *

بقلم الدكتور فايز نجيب اسكندر

الأستاذ في قسم التاريخ

تحتل رسائل بيبير دوكونديه (١) Pierre De Condet مكانة بالغة الأهمية لتتبع أحداث حملة لويس التاسع Louis IX الصليبية على تونس منذ لحظة إبحارها من ميناء ايج مورت Aigues - Mortes جنوب فرنسا في الأول من يوليو سنة ١٢٧٠م/٦٦٨هـ ، الى لحظة اخفاقها في تحقيق أهدافها بعد أن أبرم الصليبيون معاهدة سلام مع السلطان الحفصي (٢) المستنصر بالله (٦٤٧-٦٧٥هـ / ١٢٤٩-١٢٧٧م) في الخامس من نوفمبر سنة ١٢٧٠م/٦٦٩هـ ورحيل الجيوش الصليبية الغازية عن تونس .

وترجع أهمية هذه الرسائل (٣) الى احتوائها على معلومات دقيقة ساعدت على تصحيح العديد من الأخطاء الواردة في بعض مصادر المؤرخين الغربيين ، خاصة الأخطاء التي انزلت اليها جيوم دو نانجي (٤) Guillaume De Nangis نتيجة نقله عن غيره من المصادر دون تمحيص أو تدقيق .

كذلك انفردت هذه الرسائل بذكر أحداث مر عليها المؤرخون المعاصرون من الكرام . ويرجع سبب انفراد الاسقف الفرنسي بيبير دوكونديه بذلك الى كونه مرافقا لقائد الحملة منذ لحظة انطلاق السفن الصليبية من ميناء ايج مورت ، الى لحظة عودة الصليبيين ثانية الى فرنسا عقب فشلهم في تحقيق أهدافهم . اضافة الى ما تقدم ، كان بيبير دوكونديه أقرب

* بحث أعد للندوة العربية عن "العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى" ، والتي أقامتها كلية الآداب - جامعة الأسكندرية وذلك في أكتوبر ١٩٩٢م.

المقربين الى قلب الملك الفرنسي ومستشاره الشخصى ، خاصة وأن لويس التاسع كان يعترف على يديه . وتدل مشاركته في كافة المجالس الاستشارية التى ضمت كبار زعماء الحملة ، والتى كانت بمثابة المحرك الأساسى لمجريات الأحداث ، الى مكانة ناسخ هذه الرسائل ، وكونه من الشخصيات البالغة الأهمية في تسييرها (٥) .

والجدير بالذكر أن الأسقف بيير دوكونديه نجح في سد بعض الثغرات في المادة العلمية التى خلفها لنا بعض كتاب سيرة القديس لويس من أمثال جوناڤيل (٦) Joinville ، وجيوم دو نانجى ، وجيوفروا دو بوليو (٧) Geoffroi De Beaulieu ، وحولية بريما Chronique De Primat التى تعد أهم مصادر هذه الحملة على الإطلاق ، والتى أعددنا عنها بحثاً نشر سنة ١٩٨٦ (٨) .

على أية حال ، اتخذت الرسائل الخمس (٩) لبيير دوكونديه شكل صحيفة تكاد تكون يومية ، تطلعنا على أحداث وأخبار الحملة أولاً بأول ؛ رئيس تحريرها صحفى بارع يصف بعين شاهد العيان كل جديد يطرأ . والأدهى من هذا أنه يعالج مجريات الأحداث بعين يقظة ، ولم يفته - بعينه الفاحصة المدققة - التعليق الدقيق عليها فى كثير من الأحيان ؛ وفى أحيان أخرى ، لايتأخر عن ابداء رأيه الشخصى فى مجريات الأمور . ويعد هذا تطوراً هائلاً فى الكتابة التاريخية فى الغرب الأوربى آنذاك ، اذ ان المؤرخ الغربى عادة كان يكتفى بذكر الأحداث دون التعليق عليها ؛ وكثيراً ما كان يؤولها تأويلاً دينياً ، مرجعاً الهزيمة الى غضب الهى والنصر الى رضا من الله .

كذلك وصل بيير دوكونديه الى قمة تحرى الدقة وتمحيص الأحداث حين أشار فى رسالته الثانية الى انحطاط معنويات الجيش الصليبي عقب وفاة لويس التاسع (١٠) فى الخامس والعشرين من أغسطس سنة ١٢٧٠م/السادس من محرم سنة ٦٩٩هـ ، مرجعاً أسباب ذلك الى تفشى الوباء الفتاك فى صفوف الجيش الصليبي ، مما جعل كل شخص يحسك بقلبه فى يده منتظراً انتهاء أجله بين لحظة وضحاها . (١١)

ولا يفوتنا أن نذكر أن كونديه أورد ملخص اتفاقية السلام المبرمة بين السلطان الحفصى المستنصر بالله والصليبيين ، وذلك فى رسالته الثالثة المؤرخة فى الحادى عشر من نوفمبر سنة ١٢٧٠م/٦٦٩هـ ، التى أرسلها الى الأسقف متيو Matthieu أحد الوصيين على

عرش فرنسا أثناء الحملة ، ورئيس دير سان دينيه Saint - Dennis . وترجع أهمية ملخص الاتفاقية السالفة الذكر الى تطابق نصها مع النص المنسوخ باللغة العربية (١٢) . وقد أورد المستشرق الفرنسي جارجيو جراشان Garrigou - Grandchamp فى دورية الحولية التونسية ، صورة فوتوغرافية واضحة لنفس النسخة العربية ، ثم قام بتحقيق نص الاتفاقية ونشره باللغة العربية . ولم يكتف بذلك ، بل قام بترجمته الى الفرنسية . والجدير بالتسجيل فى هذا الصدد أن نص الاتفاقية الذى أوردته جيوم دو نانجى افتقر الى الدقة واتسم بالاختصار وكثرة الأخطاء ، بينما كان النص الوارد فى حولية بريما أكثر دقة واسهابها (١٣) .

ولكون كوندية شاهد عيان للأحداث التى سجلها فى رسائله ، فقد نقل عنه كل من بريما (١٤) ، وجيوم دو نانجى (١٥) بعض الأحداث ؛ مما يؤكد ثقتهم بما أورد من معلومات . كذلك صحح كوندية ما ورد فى حولية بريما عن أن الصليبيين عقدوا مجلسا استشاريا قبيل مغادرة تونس ؛ الا أن كوندية أكد أن المجلس الاستشارى عقد بعد هدوء العاصفة ، ووصول السفن الى ميناء ترابانى (١٦) (درابانو) Drapano Trapani ، ويؤكد صحة روايته أنه كان شاهد عيان للأحداث التى يكتب عنها من ناحية ، وحاضر لكافة المجالس الاستشارية التى عقدها الصليبيون من ناحية ثانية .

وكان من الطبيعى أن يؤخذ على الأسقف بيبير دو كوندية جنوحه الى الاختصار أحيانا ، وتجاهله ذكر بعض الأحداث أحيانا أخرى ، وهذا ما ستوضحه فى الدراسة التحليلية . الا أننا نلتمس له العذر ، لأن كاتب الرسائل يستحيل عليه تحويل حجم رسائله لتصل الى حجم المصنف فى الكبر ، فبالتالى فهو مكره على اختصار الأحداث ، وذكر اهمام منها فقط ، وتجاهل البعض الآخر لقلة أهميته فى مجرى الأحداث .

هذا عن مدى أهمية الرسائل الخمس لببير دو كوندية لدراسة أحداث العدوان الصليبي على تونس . أما عن سيرة ناسخ هذه الرسائل ، فقد ولد فى شارتر Chartres بين عامى ١٢٢٥ و ١٢٣٦م ؛ وكان كاهنا فى دير شاج Chage الواقع فى إقليم مو Meaux ، ثم أصبح فيما بعد أحد الكهنة الأربعة لكنيسة القديس لويس والخاصة بأسرته ؛ فكان زعيم الحملة يعترف على يديه ، والتصق به وبأحداث حملته - كما سبق أن ذكرنا - مما

أكسب رسائله مكانة بالغة الأهمية بين المصادر اللاتينية والاسلامية على السواء . وبعد فشل الحملة ، عاد ثانية الى فرنسا ، فعين عميدا لكلية سان مرسيل **Saint Marcel** الواقعة بالقرب من باريس . ثم شغل منصب راعي كنيسة بيرون **Peronne** فيما بين عامي ١٢٨٠ و ١٢٨٤ م . وفي عام ١٢٩٥ م أبدى استعداداه للانخراط وللمرة الثانية في صفوف حملة صليبية مرتقبة . الا ان البابا بونيفاس الثامن (١٢٩٤ - ١٣٠٣ م) **Boniface VIII** أعفاه من الوفاء بنذره نظرا لشيخوخته ، وأوصاه - عوضا عن ذلك - أن يدفع مبلغا من المال يخصص لنجدة الأراضي المقدسة واستعادتها من المسلمين . وكان بيار دو كورنديه آنذاك رئيسا لشمامسة سواسون **Soissons** .

هذا عن المراتب الدينية التي ارتقاها ناسخ الرسائل الخمس ، إلا أننا لانعلم بدقة سنة وفاته ؛ ومع ذلك ، فإننا نلاحظ أن اسمه لم يدرج في عداد أسماء الأحياء في السجلات الكنسية الخاصة بتاريخ حياة رجال الدين ، والمحفوطة في كنيسة سان ماجلوار **Saint - Magloire** . ويرجع تاريخ هذه السجلات الى التاسع عشر من يناير سنة ١٣١٥ م (١٧) .

هذه لمحة سريعة موجزة عن حياة ناسخ الرسائل الخمس التي غطت أحداث حملة لويس التاسع الصليبية على تونس . واذا انتقلنا الى محتوى رسالته الأولى (١٨) ، الموجهة الى رئيس دير أرجنتوي (١٩) **Argenteuil** ، نلاحظ أنها أطول الرسائل الخمس . وقد استهلها الأسقف الفرنسي بالقول انه أرسلها رغبة منه في ذكر تفاصيل تلك الحملة (٢٠) التي شارك فيها . وأشار الى أن الملك الفرنسي عانى الأمرين بعد رحلة بحرية شاقة (٢١) محفوفة بالمخاطر (٢٢) ؛ وانتهى به المطاف برسو السفن الصليبية في ميناء كاجلياري (٢٣) **Cagliari** في جزيرة سردينيا وذلك يوم الثلاثاء (٢٤) . عقب هذا الانزال ، أوفد العاهل الفرنسي قائد الأسطول الصليبي الى حاكم القلعة وكبار أشرافها . فاستقبل المبعوث الصليبي من الجميع استقبالا بالغ الخشونة والصلابة والجفاء ، لارتياح القائمين على القلعة من قدوم الجيوش الصليبية (٢٥) ؛ فانتابهم الخوف والهلع (٢٦) لدرجة أنهم لم يسمحوا لقائد الأسطول بدخول القلعة ، واكتفوا بتزويده بقليل من الماء العذب وبعض الخضروات والخبز (٢٧) .

وفى ساعة مبكرة من صباح يوم الاربعاء (٢٨) ، أوفد اليهم الملك الفرنسى قائد أسطوله (٢٩) وبصحته أحد مستشاريه (٣٠) وبعض كبار الأمراء الاقطاعيين ، ليعث الطمأنينة فى قلوب حامية القلعة (٣١) . وبالفعل ، نجح السفراء فى أداء المهمة الموكلة اليهم على أكمل وجه ، وطلبوا من رجال الحامية السماح لهم بانزال العدد الهائل من المرضى لعلاجهم ، حتى يتمكن الصليبيون من إعادة تنظيم صفوفهم . فحذ رجال الحامية أن يدخل الملك الفرنسى القلعة وبصحته بعض أتباعه ، شريطة أن يضمن حمايتهم من شراسة وبطش الجنوية ، علما بأن القلعة كانت تابعة للبيازنة ، وكان الكره والحقد والافتتال بين البيازنة والجنوية على أشده آنذاك (٣٢) . بعد ذلك قام العاهل الفرنسى بانزال المرضى من القلعة ، وتوفى منهم ما لاحصر له (٣٣) ، ومكث ثمانية أيام فى ميناء كاجليارى (٣٤) دون أن يبارح سفينته . وكان البارونات وكبار رجال الاقطاع يتوافدون يوميا على الميناء ليلتقوا به (٣٥) . وفى يوم السبت (٣٦) والاحد (٣٧) ، عقد الملك الفرنسى مؤتمرا استشاريا موسعا (٣٨) حضره كبار أقطاب الحملة بما فيهم بير دوكونديه (٣٩) .

وفى يوم الثلاثاء التالى (٤٠) ، غادر الجميع ميناء كاجليارى (٤١) ، وتمكن الأسطول الصليبي (٤٢) من التسلل الى خليج تونس (٤٣) وذلك يوم الخميس (٤٤) حوالى الساعة التاسعة صباحا (٤٥) . حينئذ ، انتاب أهل تونس الملح والدهشة ، ولادوا بالفرار بمجرد رؤية الجيوش الصليبية (٤٦) . ومما لاشك فيه أنهم كانوا يجهلون تماما أخبار تلك الحملة (٤٧) - على حد ادعاء بير دوكونديه - وأن باستطاعة الجيوش الصليبية الوصول الى أراضيهم . وفى نفس اليوم ، أصدر الملك الفرنسى أوامره الى قائد أسطوله بتفتيش الميناء للتحقق من هوية السفن الراسية . فعثر على بعض السفن التابعة للمسلمين ، فتحفظ عليها ، لكنه أطلقها تجوب عباب البحر عندما وجدها خاوية . اضافة الى ذلك ، عثر على سفن تجارية ، لأنه لم يتعرض لها (٤٨) . وواصل قائد الأسطول الفرنسى تقدمه الى أن تمكن بلا أي عائق من الانزال براً والاستيلاء على ميناء تونس (٤٩) ، وأخبر الملك بذلك ، وطلب منه أن يرسل اليه الامدادات اللازمة . حينئذ انتاب لويس التاسع ارتيابا شديدا عندما علم بهذا النبأ قائلا انه لم يصدر أوامره الى قائد أسطوله بالانزال براً . وأسرع

باستدعاء مستشاره ، وأمر بدعوة مجلس استشارى حضره بير دوكونديه وضم جميع البارونات للتشاور فى هذه الأحداث المستجدة . وتضاربت آراء المستشارين ، فكان رأى البعض الاسراع بارسال النجداث التى طلبها قائد الأسطول . أما رأى الفريق الآخر ، فكان على النقيض من ذلك ، وكانت حجته أن احتلال الارض بهذه الطريقة يعد بعيدا عن الحكمة والصواب ، ومحفوفا بالمخاطر والأهوال (٥٠) . وقد انفرد أمير برسينى Pressigny برأى غريب ، يستخلص منه أن الحروب الصليبية حركة استعمارية استيطانية فى المقام الأول ، اذ قال للملك الفرنسى : " ياسيدى ، اذا رغبت فى أن نبذل قصارى جهدنا ، فدع كل منا يستولى على الأرض التى باستطاعته الاستحواذ عليها والاقامة فيها(٥١) " . وبعد جدال طال امده ، تم الاتفاق على أن يذهب فيليب ديفرو (٥٢) Philippe D'Evreux بصحبة قائد رماة المجانيق (٥٣) للقاء قائد الأسطول الصليبي ، وبناء على رأيهما ، اما سيعيدون قائد السطول ثانية ، واما سيرسلون الى الملك يطلبون منه النجداث لاستكمال الانزال برأ طوال الليل . وانتهى الأمر بأن اتفق المبعوثان على اعادة قائد الأسطول ، علما بأن هذا الرأىلقى معارضة الغالبية العظمى (٥٤) . ويرى بير دوكونديه أنهم كانوا على حق فى ذلك ؛ اذ حدث فى صباح يوم الجمعة (٥٥) أن توافدت على الميناء جموع غفيرة من المسلمين أتت من كل فج و صوب . حينئذ ، أسرع الملك الفرنسى باستدعاء مستشاريه من جديد ، واتفق الجميع على الانزال برأ . وبدأ الجيش الصليبي فى تنفيذ العملية ، فتقدمت شانية (٥٦) لويس التاسع على بقية السفن ، وبفضل الله - على حد قول الأسقف الفرنسى - هبط الصليبيون على الشواطئ التونسية، فى نفس موضع نزول قائد الأسطول ؛ الا أن الفوضى دبّت فى صفوفهم ، حتى أنه كان بإمكان بضع مئات من المقاتلين المسلمين أن يحولوا بينهم وبين نزولهم على الشاطئ ، والغريب فى الأمر أن الجيش الصليبي لم يصادفه أية مقاومة (٥٧) .

عقب هذا النجاح الذى حققته الحملة الصليبية الثامنة ، أقام الصليبيين معسكرهم فى جزيرة طوها يزيد على الفرسخ ، وعرضها يزيد على ثلاث رميات منجنيق (٥٨) ، تحيطها المياه من كل جانب . وارتأى الصليبيون أنهم سوف لايعثرون بها على نقطة ماء عذب . لذا عانوا الأمرين برأ أكثر مما عانوه بحراً (٥٩) . وفى يوم السبت (٦٠) تسلل بعض

الصليبيين الى أن وصلوا الى برج مجاور ، حيث وجدوا فيه بعض الصهاريج المملوءة بالماء العذب . وفجأة اعترض طريقهم حفنة من المقاتلين المسلمين أتوا على العديد منهم ، وانتهى الأمر بأن نجح الصليبيون فى الاستيلاء على البرج . " لم يتطرق اليأس الى قلب المقاتلين المسلمين ، بل قاموا بمباغتتهم ، وأحاطوهم احاطة السوار بالمعصم وحاصروهم داخل البرج. فما كان من لويس التاسع الا أن أرسل بعض قاداته لفك حصار رفاقهم فى السلاح، وانقاذهم من الهلاك . حينئذ ، اندلعت معركة ضارية بين المسلمين والصليبيين كان الاقتال فيها عن بعد ، لأن المسلمين خشوا الاقتراب من الصليبيين على حد زعم بير دوكونديه . فكان المسلمون يطلقون الرماح على الصليبيين ويلوذون بالفرار ، وكان هدفهم الأوحد من ذلك قتل الخيول دون الفرسان ، كذلك كانوا يقتلون المشاة وكل من ضل طريقه ، وراح ضحية هذا الاقتال أعداد قليلة من كلا المعسكرين . وانتهت هذه المعركة باطلاق سراح المحاصرين فى البرج ، واعادتهم ثانية الى المعسكر الصليبي (٦١) .

على أية حال ، أمضى الصليبيون يوم الأحد (٦٢) فى تلك الجزيرة ، لكن مشكلة انعدام الماء العذب بها أجبرتهم على الجلاء عنها (٦٣) . وفى يوم الاثنين (٦٤) ، زحف الجيش الصليبي نحو قصر قرطاجة (٦٥) Carthage الذي يبعد عن هذه الجزيرة بما يناهز الفرسخ ؛ وتمكن الصليبيون من الاستيلاء على البرج ، ولذا المدافعون عنه بالفرار خوفا من القتل . وأقام الجيش الصليبي معسكره فى واد يحتوى على آبار عديدة تستخدم لرى أراضيه (٦٦) . ومن هذا الموضع الاستراتيجى كان باستطاعة الجيش الصليبي أن يصل بسهولة الى الميناء ، أو الى سفنه الراسية ، أو الى قصر قرطاجة (٦٧) .

وفى يوم الثلاثاء (٦٨) ، أقام بعض البحارة الجنوية (٦٩) معسكرهم بالقرب من الملك ، وأخبروه بأنهم تكفلوا بالاستيلاء على قصر قرطاجة ، شريطة أن يزودوهم ببعض الكتائب الصليبية (٧٠) لمساعدتهم على تحقيق هدفهم . ودارت المشاورات بصدد هذا الاقتراح (٧١) ، وانتهى الأمر بأن يظلوا على أهبة الاستعداد لحوض المعركة المرتقبة والاعداد والاستعداد لها عسكريا (٧٢) وفى يوم الخميس (٧٣) ، استعرض الملك البحارة الجنوية ، وأمر بامدادهم بأربع كتائب ؛ هذا بينما شكل مع بقية باروناته سبع عشرة كتيبة حربية (٧٤) . وصادر أوامره الى الجميع بالزحف لقتال المسلمين ، وحماية الكتائب الأربع

المكلفة بمحاصر قصر قرطاجة ، والوقوف حائلا أمام الأعداء الكثيرى العدد من الانقضاض عليها أو الاقتراب من القصر المحاصر (٧٥) .

وهكذا ، تمكن البحارة الجنوبية (٧٦) ، بفضل مساعدة الكتائب الأربع ، من تسلق أسوار القصر أمام أعين المسلمين الذين انتابهم الذهول والشلل التام ، وظلوا ساكنين في أماكنهم (٧٧) . وقتل الصليبيون معظم رجال الحامية المكلفة بالدفاع عن القصر ولاد الباقون بالفرار . أما السكان ، فقد اختبأ العديد منهم هربا من القتل (٧٨) . ويدعى بيري دوكونديه أن أحد البحارة الجنوبية قتل ، بينما لم يجرح أحد (٧٩) .

وبعد سقوط قصر قرطاجة في قبضة الصليبيين (٨٠) ، لاذ بعض المسلمين بالفرار عن طريق سراديب سرية ، مصطحبين معهم الأبقار وبعض الحيوانات الأخرى (٨١) . ورغم رؤية الصليبيين لهم ، فلم يقدموا على مطاردتهم ، لعدم صدور الأوامر إليهم بذلك (٨٢) . على أية حال ، اختبأ العديد من المسلمين داخل القصر ، اما فى الملاجئ أو فى مغارات وكهوف تحت الأرض . وكان الصليبيون يقتلون يوميا ما يقع منهم فى قبضة أيديهم . أما البعض الآخر ، فقد لقى حتفه نتيجة اندلاع النيران فى بعض هذه الكهوف (٨٣) ؛ والذين ظلوا على قيد الحياة ، فقد لاقوا حتفهم بطرق أخرى (٨٤) .

وعقب سقوط قصر قرطاجة (٨٥) ، غنى زعيم الحملة لويس التاسع الإقامة فيه ، الا أن الروائح الكريهة المنبعثة من جثث الموتى حالت دون تحقيق أمنيته ؛ لذا أصدر الأوامر بإزالة الجثث التى ملئت القصر (٨٦) .

ويذكر بيري دوكونديه قولاً ماثورا مفاده أن الذى يصبح سيدا على قرطاجة سيصبح بالتالى سيدا على كل الأراضى التونسية (٨٧) . الا أنه سرعان ما يعارض هذا القول ، وحجته فى ذلك أن الصليبيين لم ينعموا بالأمن والأمان ابان سقوط قصر قرطاجة فى أيديهم؛ اذ اندلعت الحرب الشعبية الضارية لطردهم من الأراضى التى احتلوها (٨٨) . ويعترف بيري دوكونديه فى رسالته الأولى هذه بمدى فاعلية المقاومة الشعبية من جانب سكان تونس حين ذكر أنهم كانوا ينطلقون من كل فج وصبوب وبأعداد لاحصر لها ، لدرجة أنهم كانوا يقلقون الصليبيين ويجبرونهم على اعلان الاستنفار العام والاستعداد للقتال أكثر من مرة فى اليوم الواحد (٨٩) .

هكذا كانت حرب الاستنزاف التى شنّها المسلمون على الصليبيين شديدة الفاعلية لدرجة أنها بثت الرعب والهلح فى صفوفهم . وقد زودتنا حولية برما بلوحة ناطقة ومفصلة عن حرب الاستنزاف الاسلامية فى مواجهة الوجود الصليبي على الاراضى التونسية ، هذا بينما أهملتها كافة المصادر الاسلامية اهمالا يكاد يكون تاماً بسبب ابرام المستنصر الحفصى اتفاقية سلام محزبة - من وجهة نظرهم - مع الأعداء الصليبيين .

على أية حال ، عقب هذا النصر الذى حققه الصليبيون ، خشى المسلمون من مواجهة فيالق الجيش الصليبي ، واكتفوا بقتل الجنود الشاردين عن معسكرهم ، أو الذين ينقضون عليهم محاولين قتلهم . ومع ذلك ، فمن المعتقد أن عدد القتلى فى صفوف المسلمين فاق مثيله فى صفوف الجيش الصليبي . ولاحظ الأسقف الفرنسى بعين الفاحص المدقق أنه عندما كان الصليبيون يطاردون المسلمين ، كان هؤلاء يلوذون بالفرار ، لكن بمجرد انسحاب الصليبيين ، كان المسلمون يسرعون بمطاردتهم وقذفهم بوابل منهمر من رماحهم (٩٠) .

ويختتم بيردو كوندية رسالته الأولى بذكر انتظار الجيش الصليبي قدوم ملك صقلية على أحرّ من الجمر (٩١) ؛ علماً بأن الملك الفرنسى كان قد أرسل اليه من سردينيا يستعجله ويحثه على سرعة الانضمام الى صفوف الجيش الصليبي . ووصل المبعوث الملكى ليخبر لويس التاسع أنه قادم فى القريب العاجل . ازاء هذا التأخير ، أرسل اليه الملك مبعوثين جدد لاستعجال قدومه ، وانضمامه بقواته الى صفوف الحملة فى زحفها المرتقب . ويعلق بيردو كوندية على هذا التأخير بقوله : " نتعشم وصوله فى خلال السنة أيام القادمة" (٩٢) .

وأخيراً ، أنهى الأسقف الفرنسى رسالته بذكر أن الجميع بخير وبصحة جيدة ، بما فيهم ناسخ الخطاب والملك وأولاده والأمراء ؛ وأنه نسخ خطابه هذا من داخل المعسكر الصليبي المقام فى قرطاجة وذلك يوم الأحد ، يوم عيد القديس جاك (٩٣) Saint Jacques . هذا عن محتوى رسالة بيردو كوندية الأولى ، والتى غطت أحداث الفترة الممتدة من لحظة ابحار السفن الصليبية من فرنسا فى أول يوليو سنة ١٢٧٠م/٦٦٨هـ ، الى تاريخ تحريره لخطابه فى السابع والعشرين من نفس هذا الشهر .

وبعقد دراسة تحليلية نقدية مقارنة مع بقية المصادر من لاتينية واسلامية ، نلاحظ أن الأسقف الفرنسى - لكونه محرر الرسالة وليس كاتباً لمصنف - اضطر الى اختصار بعض الأحداث ، وإهمال ذكر البعض الآخر ، والاتيان بأحداث لم ترد فى غيره من المصادر الأخرى ؛ وسبب ذلك أنه كان شاهد عيان لها ، ومشارك فى تخطيط أحداثها نتيجة حضوره كافة المجالس الاستشارية التى عقدها زعيم الحملة لويس التاسع .

فالأُسبوع الأول من أحداث الحملة ، أى الفترة الممتدة من يوم الثلاثاء الأول من شهر يوليو سنة ١٢٧٠م/٦٦٨هـ حتى يوم الاثنين السابع من نفس هذا الشهر ، اكتفى ببيردو كورنديه بالقول أن الصليبيين تعرضوا لمخاطر بحرية جسيمة . وربما كان على حق فى جنوحه لاختصار هذه الأحداث ، لأن تفاصيلها ليست بذى قيمة على مجريات الأحداث التالية . وقد سدت حولية برىما هذا القصور حين أظهرت معاناة الصليبيين نتيجة نقص المياه العذبة الصالحة للشرب ؛ فالمياه التى كانت فى حوزة الصليبيين أصيبت بالعفن ، وبالتالى استحالة عليهم شربها (٩٤) . والأهم من هذا ، أظهرت الحولية انعدام ثقة الصليبيين فى البحارة الجنوبيين ، حين ذكرت أنه تولدت الشكوك لدى قادة الحملة الصليبية فى تصرفاتهم ، اذ قيل ان الرحلة من ميناء ايج مورت الى ميناء كاجليارى بسردينيا لا ينبغي أن تتعدى أربعة أيام ، لكنها تجاوزت ذلك بكثير ، وبالتالى اعتقد الصليبيون ان الجنوبيين تعمدوا لاجبار ببطء شديد (٩٥) .

وتذكر الحولية أيضا أن أحد أديرة جزيرة سردينيا أرسل الى الصليبيين - وهم على مسافة تسعة أميال من ميناء كاجليارى - قارباً محملاً بالماء العذب والخضروات الطازجة ، وبذلك استعاد بعض المرضى صحتهم (٩٦) . وبنزول الجيش الصليبي فى كاجليارى ، صورت حولية برىما الملح الذى أصاب أهلها حين انفردت بالقول أن السكان حملوا ممتلكاتهم الثمينة وأثاثهم وأمتعتهم ليخفوها فى أمان خارج المدينة (٩٧) . من هذا يتضح أن أهل سردينيا أدرجوا الصليبيين فى عداد الغزاة الأفاقين . كذلك زودتنا الحولية بإحصاء رقمى يوضح مدى الاستغلال الذى تعرض له الصليبيون على يد سكان كاجليارى ، اذ ركزت على التفاوت الصارخ فى أسعار الدواجن حين عقدت مقارنة بين أسعارها قبل وبعد وصول الصليبيين . فالسكان كانوا يبيعون الدجاجة بأربعة دينيه جنوى

Deniers De Genes ، فى حين أنه عقب وصول الصليبيين رفعوا سعرها الى اثنين سو تورنوا Sous Tournois بل أكثر من ذلك . كذلك تبدل سعر صرف العملة لصالح سكان سردينيا ، فبعد أن كان اثنا عشر دنيه تورنوا تساوى ثمانية عشر دنيه جنوى ، أصبح اثني عشر لاتساوى سوى دنيه جنوى واحد فقط . أى زادت الأسعار ثمانية عشر ضعفا عما كانت عليه قبيل وصول الصليبيين الى جزيرة سردينيا نتيجة تغير سعر صرف العملة الصليبية الى الأسوأ (٩٨) . حقيقة الأمر أن تفسير ذلك اقتصاديا راجع الى " قانون العرض والطلب " .

وأشارت حولية بريما أيضا الى أن الصليبيين - نتيجة ابتزاز سكان كاجليارى لهم - كانوا على أهبة الاستعداد لآبادتهم وقلب المدينة رأساً على عقب بمجرد أن يأذن لهم زعيم الحملة بذلك . اذ لم يصادفهم من قبل شعبا يتصف بالجشع والاستغلال أكثر من هؤلاء . إلا أن لويس التاسع تفاضى عن هذه السيئات ، حتى لا يشهر السلاح فى وجه مسيحيين مثله ؛ اذ قال لاتباعه انه لم يأت لآبادتهم رغم أنهم يستحقون بحق السحق عن آخرهم (٩٩) .

والحقيقة أن الصليبيين وجدوا بكاجليارى القليل من المؤن التى تكفى حاجيات سكانها فقط . وبالتالي - بقدوم هؤلاء الغزاة - زاد الطلب على العرض نتيجة عدم زيادة المعروض السلعى والانتاج ، فالتهمت الأسعار ؛ أضف الى ذلك جنوح أهل البلاد الى استغلال وابتزاز هؤلاء القادمين الجدد . وقد أنذر وحذر العاهل الفرنسى سكان المدينة من المبالاة فى أسعار السلع الغذائية ، فأذعنوا لمطلبه خوفا منه ومن بطشه وليس حبا فيه .

هكذا ، رسمت لنا حولية بريما صورة أوضح للعلاقة بين الصليبيين وسكان كاجليارى ؛ اذ سلطت الأضواء على انعدام التفاهم بين الطرفين ، مما نتج عنه رغبة الصليبيين فى إبادة سكان كاجليارى عن آخرهم عقابا لجشعهم واستغلالهم للظروف .

وفى موضع ثان ، أظهرت حولية بريما العداء الصارخ بين البيازنة والجنوية ، وخوف سكان كاجليارى من الجنوية ألد أعداء أسيادهم البيازنة . فمن هذا المنطلق ، طلب سكان المدينة أن يأتى الملك الفرنسى بشخصه الى القلعة ، واذا تعذر عليه ذلك ، فعليه أن يرسل بعض رجاله لحمايتهم من البحارة الجنوية أعداء البيازنة أسياذ قلعته . فأخبرهم سفراء الملك أنه لا يطمع فى الاستيلاء على قلعته ، بل كل ما يريده ويتمناه هو حماية المرضى

الصلبيين وحسن معاملتهم ، وأن يكفوا عن رفع أسعار السلع الغذائية . فاستجاب سكان القلعة لرغبة زعيم الحملة ، وتعهدوا بتنفيذ مطالبه . الا أن كل الذى فعلوه هو تبديل سعر الصرف بحيث يصبح اثنا عشر دنييه تورنوا مقابل أربعة عشر دنييه جنوى (١٠٠) .

وتحدثت حولة بريما من موضع آخر عن مدى الرعب الذى سيطر على قلوب سكان كاجليارى نتيجة كثرة أعداد البحارة الجنوييه المنخرطة فى صفوف الجيش الصليبي . وقد تم تعيين اثنين من القناصل لحكمهم وفض المنازعات فيما بينهم . وظن سكان كاجليارى أن الجنوييه سيحرقون قلعتهم ومدينتهم بمجرد أن يضع لويس التاسع قدمه فى سفينته للابحار الى تونس . لكن خاب ظنهم حين وجدوا أنه لم يلحق بهم أى أذى ، ولم يقتل منهم أحد ، لا على يد الجنوييه ولا على يد الصليبيين . أمام هذه المعاملة الحسنة ، مثل أشرفهم أمام الملك الفرنسى ، وقدموا له عشرين برميلا من النييد الاغريقى الممتاز بلا مقابل . الا أن لويس التاسع رفض هديتهم ، واكتفى بتوصيتهم بحسن معاملة مرضاه ، وأخبرهم أن هذه المعاملة الحسنة تعد أحسن هدية مهداة اليه . حدث ذلك قبيل اقلاع السفن الصليبية من ميناء كاجليارى (١٠١) .

والجدير بالملاحظة أيضا أن بيردو كوندبه اكتفى بالقول انه فى يوم السبت والأحد ، عقد الملك الفرنسى مؤتمرا استشاريا موسعا . ولم يزودنا بما دار فى هذا الاجتماع البالغ الأهمية والسابق مباشرة لعملية رحيل الجيوش الصليبية عن ميناء كاجليارى ، وذلك على الرغم من حضوره شخصا هذا المجلس . الا أن بريما فصل الحديث فى هذا الصدد ، اذ أورد أنه فى يوم السبت النف كل البارونات حول الملك فى مجلس استشارى لاختيار وجهة الحملة . لكن المجتمعين لم يتخذوا قرارا لغياب كل من المندوب البابوى وكونت برتاني Bretagne . وفى صباح يوم الأحد ، وصل الغائبان فاجتمع الجميع لاتخاذ القرار المناسب . ورأى العاهل الفرنسى توجيه الحملة ضد تونس ، وقد وافقه على ذلك المندوب البابوى ، بينما اختلف البارونات فى رأى ، وانقسموا فيما بينهم ، وانتهى المجلس الاستشارى بموافقة الجميع على الهجوم على تونس (١٠٢) .

ويفسر لنا جيوفروا دو بوليو Geoffroi De Beaulieu فى مصنفه عن سيرة القديس لويس سبب اختيار زعيم الحملة تونس دون غيرها فيقول ان سيده اعتقد أن

سلطان تونس أراد اعتناق المسيحية على المذهب الكاثوليكي ، وأن الجيوش الصليبية ستشجعه على تحقيق هدفه المنشود دون خوف ، وستقدم له الحماية من ثورة شعبه عليه ، وأن هذه العملية سيتلوها اعتناق الشعب التونسي للمسيحية هو أيضا . وفى هذا الصدد أخذ على لويس قوله " آه لو كنت صهراً لهذا العاهل ! " . ويذكر بوليو أن كبار رجال حاشية زعيم الحملة أبلغوه واقنعوه أن تونس لا يمكنها الصمود فى مواجهة جيوشه الضخمة والقوية؛ وأن سلطان مصر الظاهر بيبرس البندقدارى (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م) يستمد منها أحسن خيوله ، وأن الانتصارات العديدة التى حققها السلطان المملوكى على الصليبيين فى بلاد الشام سببها الامدادات الهائلة من مؤن وعتاد وخيول الآتية اليه من تونس . اضافة الى ذلك ، صوروا له أن بتونس كنوزاً هائلة ستكون عوناً كبيراً للصليبيين لاستعادة بيت المقدس من قبضة المسلمين (١٠٣) . وهناك رواية أخرى مفادها أن شقيقه شارل دانجو ملك صقلية ، حرصه على غزو تونس عدوته اللدودة ؛ وذلك بعد أن حاول توجيه الحملة ضد القسطنطينية ، عاصمة الامبراطورية البيزنطية ، والتى كان يطمح فى أن يصبح امبراطوراً عليها (١٠٤) .

هذا عن ما دار فى المجلس الاستشارى السابق على الرحيل من ميناء كاجليارى . أعقب ذلك وصول الجيش الصليبي الى خليج تونس بعد رحلة بحرية شاقة . ولم يزودنا ببيردو كورنديه بأعداد السفن الصليبية ، وأغفل أيضا ذكر تعداد الجيش الصليبي . الا أن المصادر الاسلامية سدت قصور المصادر اللاتينية . فابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م) الذى نقل أحداث الحملة عن جده ، والذى يعد مصنفه أهم وأغزر المصادر الاسلامية على الإطلاق قال : " ولما نزل النصارى بالساحل وكانوا زهاء ستة آلاف فارس وثلاثين ألفا من الرجال فيما حدثنى أبى عن أبيه رحمه الله ، قال : وكانت أساطيلهم ثلثمائة بين كبار وصغار ... " (١٠٥) . أما ابن الشماخ ، والذى عادة ينقل روايته عن ابن خلدون - تماما كما يفعل جيوم دو نانجى حين ينقل عن بريما تارة وعن ببيردو كورنديه تارة ثانية - قال : " كان نزوله عن تونس ... بجموع وافرة ، فرسانا ورجالا ورماة ومددهم متصل كل يوم بالرجال والاقوات والعدة " (١٠٦) . هكذا ، كان ابن الشماخ شديد الذكاء ، اذ تجنب الانزلاق الى المبالغة العددية . وقد سار على منواله ابن القنفذ القسنطيني اذ قال : " نزل

النصارى بتونس بسبعة من الملوك وبكثرة من العدد والعدد والخيول والأخبية ... " (١٠٧).
واذا انتقلنا الى رواية محبى الدين بن عبدالظاهر ، فقد قال : " وكانت عدة خيالة الفرنج
خمسة آلاف فارس وتركبلية وجرجية مثل ذلك ، خارجا عن رجال الشوانى ... " (١٠٨).
وفى المقرئى (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) : " نزل [أى الملك الفرنسى لويس التاسع]
بساحل قرطاجنة فى ستة آلاف فارس وثلثين ألف راجل ... (١٠٩) " أما ابن أبى الزرع
(ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) فقد أورد : " وهم من أمم لا يلم لها عدد ، ومددهم فى البحر
متصل ، فكانت الروم فى أربعين ألف فارس ، ورماتها فى ألف رام ، ورجالها مئة ألف
راجل " (١١٠). هكذا بالغت المصادر الاسلامية فى تقدير عدد المنخرطين فى الجيش
الصليبي فى عدوانه الاستعماري على تونس ؛ الا أنها فى نفس الوقت سدت النقص
الموجود فى المصادر اللاتينية .

كذلك يؤخذ على بيردو كوندية تأكيده على أن المسلمين كانوا يجهلون تماما العدوان
الصليبي على تونس والترتيبات المعدة لانجاح حملتهم . هذا بينما تؤكد المصادر الاسلامية
خلاف ذلك ، بل أن جيوفروا دو بوليو أشار فى مصنفه الى السفارات المتبادلة بين لويس
والمستنصر واستعدادات العاهل الحفصى لمواجهة الجيوش الصليبية ، اذ حشد الجيوش ،
وعمل على اعدادها أحسن اعداد ، وتجهيزها احسن تجهيز ، وحصن الثغور ، وقام بإصلاح
الأسوار واختزان الحبوب (١١١) . وفى نفس الوقت ذكر ابن خلدون ان السلطان
الحفصى أوفد سفارة الى الملك الفرنسى تحمل اليه فدية قدرها ثمانين الف قطعة ذهبية ، نظير
ابعاد الجيوش الصليبية عن أراضيه . الا أن لويس التاسع استولى على هذا المبلغ الهائل ،
وواصل حملته العدوانية . ففى هذا الصدد يقول ابن خلدون " ... وأهم المسلمون بكل ثغر
شأنهم وأمر السلطان فى سائر عمالاته بالاستكثار من العدة ، وأرسل فى الثغور لذلك
باصلاح الأسوار واختزان الحبوب ، وانقبض تجار النصارى عن تعاهد بلاد المسلمين .
وأوفد السلطان رسله الى الفرنسيين لاختبار رجاله ومشارطته على ما يمكن عزمه ، وحملوا
ثمانين ألفا من الذهب لاستتمام شروطهم فيما عزموا ، فأخذ المال من أيديهم وأخبرهم أن
غزوه الى أراضيه . فلما طلبوا المال اعتل عليهم بأنه لم يياشر قبضته ... " (١١٢) . أما
ابن الشماخ ، فقد ذكر أن السلطان المستنصر طلب المهادنة من لويس التاسع ، فرفض

طلبه ، بل وأساء معاملة الرسل وأخبرهم " أنه متوجه اليه " (١١٣) . والجدير بالتسجيل أن ابن أبي دينار نقل نفس رواية ابن الشماخ ، وقد اعتاد النقل عنه (١١٤) . وأخيراً ، تأتي رواية المقرئى ، ويبدو أنه نقلها عن ابن خلدون ، الذى زودنا بهذه الأحداث نقلاً عن جده - كما سبق القول . ذكر المقرئى أن المستنصر : " بعث اليه رسله فى طلب الصلح ، ومعهم ثمانون ألف دينار ، فأخذها [الملك الفرنسى] ولم يصالحهم ، وسار الى تونس ... " (١١٥) .

هكذا ، أظهرت المصادر الاسلامية مساعى السلطان الحفصى السلمية لابعاد الحملة الصليبية الثامنة عن بلاده ، ثم استعداداته الحربية لمواجهة الغزو المرتقب لأراضيه . وبذلك ، لا يمكن تقبل قول بيردو كونديه أن المسلمين كانوا يجهلون أخبار العدوان الصليبي قبل وقوعه . وربما يرجع أسباب هذا الخطأ الى أمرين : أولهما جهل بيردو كونديه بأخبار الحملة قبل إنجازها من ميناء ايج مورت ؛ والثانى أن الانتصارات الباهرة التى أحرزها الصليبيون على المسلمين بمجرد نزولهم على الشواطىء التونسية ، وفرار المسلمين وضعف مقاومتهم ، كل هذا جعله يعتقد أن عنصر المفاجأة كان سبباً فى النصر الذى حققه الصليبيون .

هذا عن محتوى رسالة بيردو كونديه ، ودراستها دراسة تحليلية نقدية مقارنة حتى تتمكن من استكمال بعض النقص الوارد فيها .

والجدير بالتسجيل هنا أن الرسالة الأولى أرخت للأسابيع الأربعة الأولى من تاريخ العدوان الصليبي على تونس . وقد توقفنا عندها للتعلم بالصفحات الثلاثين المحددة لكل بحث . وسنقوم بنشر وتحليل الرسائل الأربع المتبقية فى أبحاث تالية باذن الله .

الحواشي والتعليقات

(١) كان في نيتي نشر ودراسة الرسائل الخمس التي حررها بيردو كونديه وفي هذه الحالة ، سيتجاوز البحث التسعين صفحة . الا أن مجلة كلية آداب صنعاء - التي يشرفني نشر بحثي فيها - ألزمتني ببحث لا يتجاوز الثلاثين صفحة ، وبالتالي أجبرت على دراسة وتحليل الرسالة الأولى فقط ، التزاما بالمطلوب ، ومنعا لتشويه البحث بسبب الاختصار الى الثلث .

(٢) " الحفصيون " أسرة من البربر في شمال افريقية ، حكمت " افريقية " نيفا وثلاثة قرون (٦٢٦ - ٩٨١ هـ / ١٢٢٨ - ١٥٧٤ م) . وقد نسبت هذه الأسرة الى الشيخ أبي حفص عمر . وكان أبو عبدالله محمد المستنصر بالله (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ / ١٢٤٩ - ١٢٧٧ م) بحق أقوى حاكم في " افريقية المسلمة " . ونتيجة لهذا لم يقنع بلقب الأمير الذي قنع به والده " أبو زكريا " (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) فللقب نفسه " بالخليفة " و " أمير المؤمنين " . ونجح في الحصول على وثيقة من شريف أشرف مكة تجعله وريثا للخلفاء العباسيين . للتفاصيل انظر : الذهبي : تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٤٥٢ تاريخ ، ورقة ٤٣ . وعن الذهبي نقل الصفدي في : الوافي بالوفيات - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٢١٩ تاريخ " تصوير شمسي " - ج ٥ ، ورقات ٢٠٢ - ٢٠٤ ؛ القيرواني : المؤنس في أخبار افريقية وتونس - تونس ١٣٥٠ هـ - ص ١٢٠ ؛ الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية - تحقيق محمد ما ضرور - تونس ١٩٦٦ ، ص ٣٢ - ٤٠ ؛ ابن القنفذ القسنطيني : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية - تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبدالمجيد التركي - تونس ١٩٦٨ ، ص ١١٧ - ١٣٤ ؛ ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر - دار الكتاب اللبناني ١٩٦٨ - المجلد السادس ، القسم الثالث ، ص ٦٢٦ وما بعدها ؛ أحمد بن أبي الضياف : تحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان - تونس ١٩٧٦ - ج ١ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٨ ؛ ابن الشماخ : الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية - تحقيق الطاهر بن محمد المعموري - تونس ١٩٨٤ ، ص ٦٢ - ٦٩ .

(٣) الجدير بالذكر أن الكثير من تفاصيل أحداث حملة لويس التاسع الصليبية على تونس عرفت من خلال رسائل عديدة نسخت بيد من شاركوا في نسج خيوط أحداثها. ولقد عثر على هذه الرسائل في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم Fonds Latin No . 9376. وضمت رسائل نسخها الملك الفرنسي القديس لويس ، ورسائل أخرى كتبها ابنه فيليب الثالث ، وثالثة كتبها بيير دو كوندية . وهناك أيضا العديد من الرسائل الأخرى كتبها بعض أفراد الحاشية الملكية الى شخصيات مرموقة مقيمة في فرنسا . وقد نشرت هذه الرسائل في مواضع متفرقة . ففي سنة ١٧٢٣م ، نشر أرشيري Archery معظم هذه الرسائل في مصنفه

Spicelgium Sive Collectio Veterum Aliquot Scriptorum ... , Nouv. Ed. ,Paris ,1723, 3Vol . in -Fol . , t 3, P663-670.

وكان دى شزن Du Chesne قد سبق له من قبل أن نشر خطابا لفيليب الثالث موجهة الى المندوبين البابويين للكنيسة الفرنسية . والخطاب مؤرخ في الثاني عشر من سبتمبر سنة ١٢٧٠م . نشر هذا الخطاب الملكي في

Historiae Francorum Scriptores Costanei, P . 440-441

كذلك نشر لزون Letronne خطابا أرسله ثيو دو نافار Thibaud De Navarre الى أسقف تسكلوم Tusculum في الرابع والعشرين من سبتمبر سنة ١٢٧٠م نشره في Bibliotheque De L'Ecole De Chartres, t. 5, 110-113. ثم قام ليوبولد

ديسل Leopold Delisle بنشر الخطابين السابقين في

Instructions Adreesees Par Le Comite Des Travaux Historiques Et Scientifiques... Litterature Latine Et Histoire Du Moyen Age, Paris, 1890, P. 72-77.

ومما يذكر أن هذه الرسائل جذبت أنظار العالم الألماني ستيرنفلد Sternfeld فقام بترجمتها الى اللغة الألمانية ، ووضعها كملاحق لأطروحته التي نال بها درجة الدكتوراه . وكان عنوان الأطروحة " حملة لويس التاسع الصليبية على تونس سنة ١٢٧٠م وسياسة شارل الأول ملك صقلية " . وقد نشر أطروحته في كتاب باللغة الألمانية بعنوان

Ludwigs Des Heiligen Kreuzzug Nach Tunis, 1270, Und Die Politik Karls I , von Sizilien , Berlin , 1896 , in 8 , P.359-363.

ويعد مصنف سترنفلد أهم وأدق ما كتب عن حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ، اذ قام بدراسة تحليلية نقدية مقارنة لكافة المصادر من لاتينية واسلامية .

(٤) ألف جيوم دو نانجي مصنفنا عن فضائل القديس لويس وأعماله بعنوان *Gesta Sanctae Memoriae Ludovici Regis Franciae* نشر في مجموعة مؤرخي بلاد الغال وفرنسا (أنظر . R.H.G.F., t. xx , P. 313- 465.) . وقد أهدى نانجي مصنفه الى الملك الفرنسي فيليب الجميل (١٢٨٥-١٣١٤م) . (أنظر R.H.G.F., t. xx , P. XLVIII. أنظر أيضا : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على مصر - الاسكندرية ١٩٦٩- ص ٧ - ٨ وحاشية رقم ٤). والملاحظ أن نانجي نقل عن حولية بريما نقلا يكاد يكون حرفيا حينا ، وجنح الى الاختصار أحيانا أخرى. كذلك اعتمد في مصنفه على جيلون دو ريمز *Gilon De Reims* وجيوفرا دو بوليو ، وعلى غيرهما من المؤرخين . والجدير بالذكر أن المؤرخين المعاصرين له لم يذكروا عنه شيئا (R.H.G.F., t. xx , P. XLVIII, t. xxiii, P.2.) . ولقد زدنا جيوم دو نانجي أيضا بسيرة لفيليب الثالث (١٢٧٠-١٢٨٥م) (R.H.G.F. , t. xx ,P. 467-539.) اضافة الى ذلك ، كتب حوليتين وصلتا في سردهما التاريخي الى نهاية القرن الثالث عشر . شملت الأولى النصف الأول من عهد فيليب الجميل ، وذيل عليها مؤرخ مجهول الى عام ١٣١٣م ، ووصل بها مؤرخ ثان مجهول الى سنة ١٣٢٨م . ثم كان تذيلا ثالثا توقف بالحولية عند عام ١٣٦٨م . انظر R.H.G.F., t. xx, P. XIV. ولمزيد من التفاصيل أنظر : R.H.G.F., t. xx, P.xiv-XLVIII.

(٥) *Mirepoix , Saint Louis Roi De France, Paris , 1970, P.220.*

(٦) عن جوانفيل ومصدره أنظر الترجمة العربية التي أعدها حسن حبشي تحت عنوان : القديس لويس ، حياته وحملاته على مصر والشام - دار المعارف بمصر ١٩٦٨ .

(٧) كان القديس لويس يعترف على يدي جيوفروا دو بوليو . كذلك كان بوليو مستشار الملك الفرنسي طوال عقدين من الزمان وأقدم من أرخ للعاهل الفرنسي . رافق بوليو لويس التاسع في حملته على مصر ، فأسر معه وأطلق سراحه معه أيضا . ثم سار في ركابه الى عكا، وعاد معه الى فرنسا ، ثم انخرط في حملته على تونس ، وكان بجواره لحظة وفاته .

وفور فوز جريجوار العاشر x Gregoire بكرسى البابوية ، كلف بوليو بكتابة " سيرة القديس لويس " Vita Ludovici Noni (وردت الحولية فى R.H.G.F., t. xx, P.1-26.) . ويؤخذ على مصنف بوليو اهماله ذكر تفاصيل الأحداث السياسية والحربية فى عصر سيده ، واهتمامه بذكر تفاصيل حركات المهرطقة وسياسة لويس الدينية وتقواه . للتفاصيل أنظر :

R.H.G.F., t. xx , P. x , xxviii-xxx.

(٨) فايز نجيب اسكندر : المقاومة الاسلامية فى مواجهة العدوان الصليبي على تونس سنة ١٢٧٠م/٦٦٨-٦٦٩هـ - الاسكندرية ١٩٨٦ .

(٩) نشر هذه الرسائل لى موروبوا . أنظر :

Mirepoix, Saint Louis, p. 221-234.

(١٠) أكد بيردو كونديه فى رسالته الثانية التى أرسلها من تونس الى أمين خزينة سانفرانشوار دو سنلس أن الملك الفرنسى توفى يوم الاثنين ٢٥ أغسطس سنة ١٢٧٠م حوالى الساعة التاسعة صباحا ، وأن شقيقه شارل دانجو ملك صقلية الذى طال انتظاره مثل أمام جثمان شقيقه لويس بعد وفاته بلحظات . أنظر

Pierre De Condet, Lettre Au Tresorier De Saint - Franchour De Senlis, p. 226.

وقد أجمعت كافة المصادر اللاتينية على وصول شارل دانجو فى نفس يوم وفاة شقيقه .

انظر:

Primat, Ch. xxxix, P.27., Nangis ,Listoire Du Roy Phelippe, Dans, R.H.G.F., t.xx, P.467.

(11) Condet, Lettre Au Tresorier De Saint-Franchour De Senlis , p. 227.

(12) Condet , Au Pere Abbe De Saint-Dennis , P.230-231.

(13) Documents Divers Relatifs A La Croisade De Saint Louis Contre Tunis, Revue Tunisienne, An. 1912, P. 384-394 ,447-470. Et An.1913, P. 480-481 .

(١٤) قارن رسالة بيردو كونديه الى أمين خزينة سان فرانشوار دو سنلس

Condet , Chronique

مع

**Au Tresorier De Saint-Franchour De Senlis , P. 227. De Primat ,
Traduite Par Vignay , Ch. L, P. 74-75.**

(١٥) قارن

Condet, Au Tresorier De Saint-Franchour, P.227.

مع

Nangis , Lhistoire Du Roy Phelippe, Dans R.H.G.F. , t.xx , P. 475.

(16) Condet , Au Pere Abbe De Saint-Dennis, P. 230-231.

(17) Mirepoix , Saint Louis , P. 220.

(18) Condet , Au Prieur De L Abbe D Argenteuil, P.221-225.

(١٩) كتب بيردو كوندبه هذه الرسالة من داخل المعسكر الصليبي بقرطاجنة وذلك يوم

الأحد ٢٧ يوليو ١٢٧٠م، وهو يوافق يوم عيد القديس جاك Saint Jacques. أنظر :

Un Recueil De Lettres Sur La Huitieme Croisade, p.184;

Mirepoix, p.255.

(٢٠) أبحرت الحملة من ميناء إيج مورت يوم الثلاثاء الأول من شهر يوليو ١٢٧٠م، بعد

عيد القديسين بطرس وبولس (أنظر: Nanguis, p.443; Primat, p.41) وأنظر أيضا:

Wallon, Saint Louis, Tours, 1870, p.481; De La Marche, Saint

**Louis, Paris, 1935, p.355; Garrigou -Grandchamp, Document
Divers, p.387.)**

وقد أخطأ كل من روبر برنشغيك وبولانجيه حين حددا موعد ابحار الحملة بالثاني من شهر
يوليو. أنظر :

**Brunschvig, La Berberie Orientale sous Les Hafside, Paris, 1932,
t.I, p. 55; Boulenger, La vie De Saint Louis, Paris, 1929, p. 243.**

(٢١) أستمريت هذه الرحلة البحرية الشاقة خمسة أيام . أنظر :

Wallon, p. 483; Brunschvig, t.I, p.55.

(٢٢) أشار برما الى تفاصيل المخاطر التي أهدقت بسفن الصليبية ، اذ قال انه بعد ابحار

الحملة من ميناء إيج مورت ، هبت عاصفة عاتية كان من نتائجها تفريق الأسطول الصليبي.

حينئذ لجأ القديس لويس الى إقامة الصلوات المتتالية . ويذكر برما أنه كان من المستحالة

على المرء أن يقف بثبات على متن أي سفينة، بعد أن ازدادت العاصفة عنفا. وقد حدد

برما موعد بداية العاصفة بليلة الجمعة الرابع من يوليو، وقال إنه في اليوم التالي هدأت

كثيرا، الا أنه في يوم الأحد السادس من يوليو عادت العاصفة أقوى مما كانت عليه. أنظر :

Primat, p. 41; Nangis , p. 443. Cf. Wallon, P. 483; Boulenger, p.243.

(٢٣) أخطأ دلامارش حين ذكر ان الحملة انطلقت من ميناء إيج مورت الى تونس مباشرة دون ذكر الإنزال الصليبي في ميناء كاجلياري بجزيرة سردينيا . أنظر :

De La Marche, p.335.

(٢٤) كان ذلك يوم الثلاثاء الموافق الثامن من يوليو سنة ١٢٧٠م . أنظر :

Primat, p. 43. Cf. Wallon, p. 483., Documents Divers, p. 387.

Primat, p. 43. Cf. Wallon, p. 483., Brunschvig,t.I, p.55. (٢٥)

(٢٦) بلغ الرعب أقصاه ، حين قام سكان كاجلياري بإخفاء ممتلكاتهم الثمينة في أماكن بعيدة عن متناول أيدي هؤلاء الغزاة الأجانب؛ بل وصل الخوف مداه حين حملوا اثاث منازلهم ووضعوه خارج المدينة . أنظر :

Primat, p. 43. Cf. Boulenger, p. 245;Wallon , p. 483

(27) Primat, p. 43. Cf. Boulenger , p. 245-246.

Primat,p.43. Cf. Wallon , p.483 : أنظر : (٢٨) أي التاسع من يوليو سنة ١٢٧٠م.

(٢٩) لم يزودنا ببيير دوكونديه باسم قائد الأسطول الصليبي ، الا ان برعما انفرد دون غيره من المصادر بذكر ان هذه المهمة أسندت الى إرنول دو كورتفيران . Primat, p.43 : أنظر : Eenol De Courtferrant

(٣٠) مستشاره هذا يدعى بيير Pierre . أنظر :

Primat, p. 43; Nangis, p. 447. Cf. Boulenger, p. 245.

(٣١) كانت القلعة خاضعة للبيازنة . وقد أبلغ رجال الحامية الوفد الفرنسي أن البيازنة حذروهم من فتح ابواب القلعة لأي شخص أجنبي . أنظر :

Primat, p. 43; Nangis, p. 447.

(٣٢) تقاربت رواية بيير دوكونديه مع رواية برعما تقاربا يكاد يكون تاما . قارن :

Condet, p.221 مع Primat, p.43.

(٣٣) ذكر برعما ان الملك الفرنسي أمر بأنزال بعض المرضى في قلعة كاجلياري ، والبعض الآخر في أحد الأديرة بضواحي المدينة، بعيدا عن القلعة. وقال أن القديس لويس أضطر الى ذلك بسبب صغر وتواضع منازل المدينة بحيث يستحيل على الفرنسيين الإقامة بها. أنظر :

Primat, p. 43.; Nangis , p. 447. Cf. Wallon, p. 483., Boulenger, p.245.

(٣٤) تحدث برما بأسهاب عن معاناة الصليبيين من الجشع والاستغلال على يد سكان كاجلياري. أنظر:

Primat, p. 43.; Nangis , p. 447. Cf. Wallon, p. 484., Boulenger, p.246.

(٣٥) في يوم الجمعة الحادي عشر من يوليو وصلت الى ميناء كاجلياري سفينة أخرى كانت قد أبحرت من مرسليا وإيج مورت . وهكذا أنضم الى الجيش الصليبي ثيو ملك نافار Thibaut, Roy De Navarre صهر الملك لويس ؛ وكونت بواتيه شقيقه ، وجان كونت فلاندر الابن الأكبر لكونت بريتاني، وجوع غفيرة أخرى من البارونات (أنظر Primat, p.44). وفي يوم الأحد صباحا الثالث عشر من يوليو وصل الى ميناء كاجلياري المندوب البابوي وكونت بريتاني. أنظر :

Primat, p. 44; Nangis , p. 447. Cf. Wallon, p. 484., Brunschvig, p.55; Boulenger, p.246.

(٣٦) يوافق ذلك الثاني عشر من يوليو ١٢٧٠م. أنظر: Primat, p.44.

(٣٧) يوافق ذلك الثالث عشر من يوليو ١٢٧٠م. أنظر: Primat, p.44.

(٣٨) روى برما ان هذا المجلس الاستشاري عقد على متن سفينة الملك الفرنسي الراسية في خليج كاجلياري. وفي هذا المجلس عارض العديد من رجال الاقطاع فكرة الهجوم على تونس وأرجعوا سبب موقفهم هذا الى أن السلطان الحفصي عامل المسيحيين بالحنس، ولم يلحق بهم أي أذى . وأقرحوا توجه الحملة الى بيت المقدس لاستعادة الأراضي المقدسة والتي كانت آنذاك في أمس الحاجة لتجديدهم . أنظر:

Primat, p.44 ; Nangis, p. 447.

(٣٩) ذكر برما انه في هذا المجلس الاستشاري كان رأي القديس لويس توجيه الحملة ضد تونس . وقد وافقه على ذلك المندوب البابوي . الا أن البارونات اختلفوا في الرأي وأنقسموا فيما بينهم ؛ وأنهى الأمر بموافقة الجميع على الهجوم على تونس . أنظر:

Primat, p. 44; Nangis , p. 447. Cf. Wallon, p. 484; Boulenger, p.246; Michelet, Histoire De France, Paris, 1877, t.I, p. 381; Garrigou- Grandchamp, p. 388.

(٤٠) يوافق ذلك الخانن عشر من يوليو ١٧٢٠ م . أنظر :

Primat, p. 45 Cf. Wallon, p. 484.

(٤١) أظهر برما بوضوح بالغ دور البحارة الجنوبية في حملة لويس الصليبية على تونس .

أنظر : Primat, p. 45.

(٤٢) تكون الأسطول الصليبي من ثلاثمائة سفينة من كافة الأحجام . أنظر :

Garrigou- Grandchamp, p. 388.

(٤٣) يذكر برما ان الصليبين عانوا الأمرين بعد إبحارهم من ميناء كاجلياري في اتجاههم الى

تونس . أنظر : Primat, p. 45 .

(٤٤) يوافق ذلك السابع عشر من يوليو ١٢٧٠ م . أنظر : Primat, p. 45 .

(٤٥) أشار ابن القنفذ القسنطيني الى وصول الأسطول الصليبي أمام قرطاجنة أثناء صلاة الظهر وليس في التاسعة صباحا كما ذكر بيسر دوكونديه. اذ جاء في ابن القنفذ: " نزول النصارى بتونس بسبعة من الملوك وبكرة من العدد والعدد والخيول والأخبية وذلك في صلاة الظهر في يوم الخميس السادس والعشرين من ذي الحجة [سنة ٦٦٨هـ] ". أنظر الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية- تحقيق محمد الشاذلي، ص ١٣٤. والملاحظ أن ابن القنفذ أجل أخبار الحملة الصليبية على تونس محيلا في تفاصيلها الى كتاب المتوكللى. أنظر : الفارسية ، ص ١٣٢ .

(٤٦) يتعارض هذا القول مع ما زودتنا به المصادر الإسلامية . فقد أشار المقرئزي الى شدة المواجهة الإسلامية للزحف الصليبي على الأراضي التونسية بقوله : " فقاتله المسلمون - للنصف من محرم سنة تسع وستين - قتالا شديدا ، قتل فيه من الفرقين عالم عظيم . وكاد المسلمون أن يغلبوا .. " (أنظر السلوك ، ج ١، ص ٣٦٥) . كذلك زودنا ابن خلدون بملحمة بطولية رائعة سطرها المجاهدون المسلمون . وأشار في موضع آخر من مصنفه الى خروج العلماء والفقهاء والمرابطين لمباشرة الجهاد بأنفسهم ، وأنخرط أعداد لاحصر لها في مواجهة الزحف الصليبي. أنظر : ابن خلدون : العبر ، ج ٦، ص ٦٦٨-٦٦٩؛ أنظر أيضا: ابن الشماخ : الأدلة البينة النورانية، ص ٧٣؛ ابن ابي دينار: المؤنس، ص ١٢٢. وعن أهمية مصنف ابن خلدون لدراسة حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ، والأخطاء التي

أنزلق إليها ، أنظر : فايز نجيب اسكندر: المقاومة الإسلامية في مواجهة العدوان الصليبي على تونس ، ص ١٢ ، حاشية رقم ٢٠ .

(٤٧) رغم هذا التأكيد القاطع من قبل بيير دوكونديه، إلا أن ابن خلدون أكد في روايته ان السلطان الحفصي كان على علم تام بحملة لويس التاسع على بلاده ، وأعد العدة لمواجهة الغزاة، فنادى بأستعداد أهل تونس لمواجهة الأخطار المخدقة بربوع بلادهم ، وتفاوض مع أهل الشورى لاستطلاع رأيهم في كيفية مواجهة العدو المترص بمحدوده . أنظر: ابن خلدون ، ج٦ ، ص٦٦٦-٦٦٨ .

(٤٨) تطابقت رواية بيير دوكونديه في هذا الصدد مع رواية روبردو برما . أنظر :

Condet, p.222

وقارنه مع

Primat, p.45.

(٤٩) ذكر برما ان ميناء تونس يعد أشهر الموانئ الأفريقية. فقد أورد في هذا المعنى في مصنفه المكتوب باللغة الفرنسية القديمة :

".... Et Preissent Le Port Et Le Pourseissent; Car Ce Etoit Le Plus Renomme Port De Toute La Region D'Aufrique".

أنظر : Primat, p.45 .

(٥٠) نقل روبردو برما كعادته عن بيير دوكونديه شاهد العيان لأحداث الحملة . أنظر : Condet, p.222 وقارنه مع Primat, p.45 ويؤكد هذا النقل ثقة برما في رواية كونديه .

(٥١) الملاحظ ان كافة المصادر اللاتينية لم تذكر قول بريسيني .

(٥٢) في برما فيليب دجليس Phelippe De Eglis . أنظر: Primat, p.45 .

(٥٣) في برما يدعى " حنا " Jehan L'Arbalestier . أنظر Primat, p.45 .

(٥٤) نقل برما هذه الأحداث عن كونديه . أنظر :

Primat, p.45 وقارنه مع Condet, p.222 - 223

(٥٥) يوافق ذلك الثامن عشر من يوليو ١٢٧٠م. أنظر : Primat, p.45 .

(٥٦) جمعها شواني، وهي عبارة عن سفن حربية كبيرة لها أبراج وقلاع ، وتستعمل للدفاع والهجوم . للتفاصيل أنظر : فايز نجيب اسكندر: فن الحرب لدى الصليبيين والمسلمين - رسالة ماجستير لم تطبع بعد- الأسكندرية ١٩٧٦، ص ١٨٩ وما بعدها.

(٥٧) يذكر بريما ان المسلمين انسحبوا الى زاوية جزيرة صغيرة ، اذ جاء في هذا المصدر الهام :

"Les Sarrazins Se Retrairent En Un Angle D'une Petite isleite"
أنظر : Primat, p. 45-46 ومن المعتقد أنها جزيرة "شكلة" فقد جاء في ابن الشماخ في حديثه عن بحيرة تونس "... وفي وسطها [أي وسط بحيرة تونس] جزيرة تسمى شكلية في مقدار ميلين ، تبت الكلخ وفيها أثر قصر خرب" أنظر : الأدلة البيئية النورانية، ص ٣٨.
(58) Condet, p. 223.

(٥٩) تشابهت رواية بريما مع رواية كوندييه . أنظر :

Primat, p. 46 وقارنه مع Condet, p. 223.

(٦٠) يوافق ذلك التاسع عشر من يوليو ١٢٧٠م. أنظر Primat, p. 46.

(61) Condet, p. 223 ; Primat, p. 46.

(٦٢) كان ذلك في العشرين من يوليو ١٢٧٠م . أنظر Primat, p. 46.

(٦٣) تم ذلك بعد أن عقد لويس مجلسا استشاريا ضم جميع بارونات. أنظر :

Primat, p. 46.

(٦٤) كان ذلك في الحادي والعشرون من يوليو ١٢٧٠م. أنظر : Primat, p. 46.

(٦٥) تكونت حامية قصر قرطاجنة من متقي جندي ، وبالتالي استحال على رجال الحامية الصمود في مواجهة جحافل الصليبيين . أنظر :

Primat, p. 46 . Cf. Garrigou, p. 389.

(٦٦) يذكر بريما ان هذه الآبار كانت معدة لمواجهة شحة المطر او انحباسه ، اذ كثيرا ما كان المطر نادرا، لذا كان الفلاح التونسي يواجه هذه المشكلة بتخزين الماء في الآبار علاجا لسنوات الجفاف وشحة الماء. أنظر : Primat, p. 46. Cf. Boulenger, p. 249.

(67) Condet, p. 223; Primat, p. 46. Cf. Wallon, p. 485.

(٦٨) كان ذلك في العشرين من يوليو ١٢٧٠م . أنظر : Primat, p. 46.

(٦٩) أرتكب البحارة الجنوية بعض التصرفات الشائنة . فقد بدأوا أعمالهم الحربية بالاستيلاء على بعض السفن التي وجدوها أمام قرطاجة دون انتظار تعليمات صادرة اليهم من قائد الحملة القديس لويس . أنظر :

Michelet, t.I, p. 381; Garrigou, p. 389.

(٧٠) في برعما ، لم يطلب البحارة الجنوية من الملك الا العون من رماة السهام الصليبيين .
أنظر : Primat, p. 47.

(٧١) في برعما ، عقد الملك مجلسا استشاريا لمناقشة مطالب الجنوية . أنظر :

Primat, p. 47.

(72) Condet, p. 224; Primat, p. 47. Cf. Wallon, p. 485; Boulenger, p.249.

(٧٣) كان ذلك في العشرين من يوليو ١٢٧٠م . أنظر Primat, p. 47.

(٧٤) في حولية برعما ، زود الملك الفرنسي البحارة الجنوية بخمسمائة من رماة السهام من المشاة والفرسان ، اضافة الى أربع كتائب من الفرسان الأجانب ، ثم شكل لويس من البقية الباقية من جيش بارونات كتائب مهمتها الوقوف حائلا أمام النجيدات الاسلامية التي ربما تصل لنجدة المحاصرين في قصر قرطاجة . أنظر : Primat, p. 47.

(75) Condet, p. 224; Primat, p. 47.

(٧٦) أعترف برعما ببسالة البحارة الجنوية ، وأظهر دورهم الفعال والبطولي في اسقاط قصر قرطاجة في قبضة الصليبيين . فذكر ان الجنوية أقاموا السلام على جدران القصر ، واسرعوا بتسليق أسواره ، ونجحوا في رفع العلم الصليبي عليه . هذا بينما ذكر ان مئتين من رماة السهام القشتاليين لاذوا بالفرار من ساحة القتال قبل ان يواجهوا المسلمين أنظر :

Primat, p. 47.

(77) Condet, p. 224; Primat, p. 47. Cf. Wallon, p. 485

(٧٨) ذكر برعما ان السكان لاذوا بالفرار الى الشوارع ، وأخذ الصليبيون بمطاردهم ، فراححت أعناق الرجال والنساء والأطفال ضحية سيوفهم ، فكان مصيرهم شبيها بالماعز المذبوح Primat, p. 47 وبذلك أعترف روبر دو وبرعما بوحشية الصليبيين البالغة ، وجهم لسفك دماء الأبرياء من السكان .

(79) Condet, p. 224; Primat, p. 47.

(٨٠) كان ذلك في يوم الخميس الرابع والعشرين من يوليو ١٢٧٠م. أنظر:

Condet, p. 224; Primat, p. 47. ; Wallon, p.485; Boulenger, p.249;
Le Nain De Tillemont, Vie De Saint Louis, Paris, 1848, t.V, p. 150.

(٨١) جمع المسلمون ثيرانهم وأبقارهم وخيولهم وخرفانهم وبعض الحيوانات الأخرى

ولاذوا بالفرار على مرأى من الصليبيين. أنظر : Primat, p. 47.

(٨٢) نقل بريما عن كونديه . أنظر : Condet, p. 224 وقارنه مع Primat, p. 47.

(٨٣) أشار بريما الى ان البحارة الجنوبية أشعلوا النيران في الكهوف ، فانتشرت السنة
اللهب والدخان في كافة الأرجاء، وأختنق وأحرق مايناهز ثلاثمائة من المسلمين. أنظر:

Primat, p.47.

(84) Condet, p. 225 .

(٨٥) عباً لويس خمسمائة من رماة السهام والمشاة لحراسة قصر قرطاجة. أنظر:

Primat, p.47.

(٨٦) أوضح بريما ان لويس رغب في التخلص من جثث الموتى حتى يتمكن النساء
والمرضى وجرحى المعارك من الإقامة في القصر ؛ وأن الصليبيين عثروا بداخله على مخازن بها
كميات هائلة من الشعير والغلل ، ولكنهم لم يعثروا على أي شيء آخر يليق بأسم
قرطاجة وراثتها العالق في الخيال وأحلام الصليبيين . أنظر : Primat, p.47.

(٨٧) Condet, p.225 . وقد أورد بريما قولاً مشابهاً. أنظر : Primat, p.48 . بينما
جاء في جيوم دو نانجي أن " مدينة قرطاجة كانت عاصمة السلطنة [الحفصية] وسيدة أفريقية
بأكملها" إذ أورد :

" CartageEtoit La Royal cyte Et La Maitresse De Toute
Aufrique "

أنظر : Nangis, p.453 .

(٨٨) لم يركن المسلمون الى السكينة والاستسلام ، رغم ماأحرزه الصليبيون من انتصار .
فقد طلب السلطان الحفصي مساعدة جيرانه. إزاء عدم تلبية دعوته للنجدة، أعلن الجهاد
العام والحرب المقدسة ضد عدو بلاده . أمام ذلك ، لبى المسلمون الدعوة الى الجهاد
وخوض غمار حرب مقدسة ، وتحمل رجال الدين والفقهاء والمرابطون العبء الأكبر في
تعبئة المقاتلين المسلمين. وبذلك نجح السلطان الحفصي في اثارة الحمية الدينية وتوحيد

المسلمين لمجابهة عدو يحتاج بلاده (للتفاصيل أنظر : ابن خلدون : ج ٦، ص ٦٦٩-٦٧٠ ؛ ابن الشماخ : ص ٧٣؛ المقرئزي : ج ١، ص ٣٦٥؛ ابن أبي ديار: ص ١٢١) أما ابن القنفذ القسنطيني ، فلم يشر الى المقاومة الشعبية بسطر . كذلك كان حال الزركشي الذي لم يشر الى الحملة الصليبية على تونس برمتها لامن قريب ولا من بعيد . هكذا يؤخذ على المصادر الاسلامية اغفال ذكر التفاصيل الدقيقة المطولة للمقاومة الاسلامية. وعلى النقيض من ذلك ، فقد أنفرد روبر دو برما - ونقل عنه جيوم دو نانجي - بتزويدنا بتفاصيل دقيقة مطولة تبث على الأعجاب . اذ استخدم المسلمون الحيل الماكرة للأنقضاض على الصليبيين الجائئين على أراضيهم . أنظر : Nangis, p.453-457; Primat, p.48-57. أنظر أيضا: فايز نجيب اسكندر : المقاومة الاسلامية في مواجهة العدوان الصليبي على تونس ، ص ١١-٤٠ .

(89) Condet, p.225

(90) Condet, p.225; Cf. Garrigou, p. 389.

(٩١) كرر الصليبيون في تونس نفس الخطأ الذي أرتكبه في مصر اثناء الحملة الصليبية السابعة على دمياط . فقد انتظروا وصول كونت أرنوا شقيق الملك لويس ، فجنوا من هذا الانتظار العواقب الوخيمة التي اتت عليهم وأفشلت حملتهم على مصر. كذلك نجدهم في تونس بعد احتلالهم قرطاجنة ينتظرون وصول شارل دانجو ملك صقلية وشقيق الملك . وكان من نتيجة ذلك التلكأ ازيداد المقاومة الشعبية ، وازهاق أرواح جموع غفيرة من الصليبيين . والحقيقة ان شارل دانجو تذرع بحجج واهية تؤخره عن الانخراط في صفوف الحملة . وفي نفس الوقت طلب من الصليبيين تأخير هجومهم الحاسم حين انضمامه اليهم . هذا بينما كان يتفاوض مع المستنصر بصدد الجزية المتأخرة عليه. أنظر

Garrigou, p. 389.

(92) Condet, p.225

(٩٣) كان ذلك يوم السابع والعشرين من يوليو ١٢٧٠ م. أنظر : Primat, p.48

Condet, p.225

(94) Primat, p.42

(95) Primat, p.42-43

(96) Primat, p.42

(97) Primat, p.43

(98) Primat, p.43 ; Namgis, p. 447

(99) Primat, p.44

(100) Primat, p.43

(101) Primat, p.44-45

(102) Primat, p.44

(103) Geoffroi De Beaulieu, Vita Sancti Ludovici, p.21-22; Nangis, p.447-448; Primat, p.44; Beati Ludovici Vita, Partim Ad Lectiones. Partim Ad Sacrum Sermonem Parata, Dans R.H.G.F., t.XXIII, p.175.

(١٠٤) للتفاصيل المطولة عن أسباب حملة لويس التاسع الصليبية على تونس أنظر:

Mercier, Examen Des Causes De La Croisade De Saint Louis Contre Tunis (1270), p. 267-272.

(١٠٥) ابن خلدون : ج ٦ ، ص ٦٦٨ .

(١٠٦) ابن الشماخ : ص ٧٢

(١٠٧) ابن القنفذ القسنطيني : ص ١٣١ .

(١٠٨) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر - تحقيق عبدالعزيز الخويطر

- الرياض ١٩٧٦ - ص ٣٧٣ .

(١٠٩) المقرئ : ج ١ ، ص ٣٦٥ .

(١١٠) ابن أبي الزرع : ص ٤٠٤ .

(111) Beaulieu, p. 21.

(١١٢) ابن خلدون : ج ٦ ، ص ٦٦٦ . أنظر أيضا: فايز نجيب اسكندر : المقاومة،

ص ١٢ .

(١١٣) ابن الشماخ : ص ٧٠ .

(١١٤) قارن ابن الشماخ : ص ٧٠ مع ابن أبي دنيار : ص ١٢١ .

(١١٥) السلوك ، ج ١ ، ص ٣٦٥ .